أثر التربية الإسلامية
في
أمن المجتمع الإسلامي

تأليف
الدكتور عبد الله بن أحمد قادري

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

الناشر
دار المجتمع للنشر والتوزيع
جدة : ميدان الجامعة ص.ب ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١ ت الإدارة ٦٨٩١٤١٧
المكتبة ٦٨٩٤٤٩١
الخبر : شارع الأمير نايف ص.ب ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا فصلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾(١).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾(٣).

أما بعد،

فإن الإسلام هو دين الهدى والنور الذي لا سعادة للبشرية ولا أمن لها في الدنيا والآخرة إلاّ عندما تهتدي بهداه وتستضيء بنوره مخلصة عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه وتتبع منهجه نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له. فإن أي أمة من الأمم في أي بقعة من الأرض، وفي أي زمان من الأزمان إذا دانت بهذا الدين واعتصمت بحبل الله واتبعت رسوله الأمين بصدق ويقين وعلم بما أنزله الله في كتابه المبين وسنة رسوله ﷺ - ان أي أمة من الأمم تتمسك بذلك لا بد أن تكون أسعد الناس وأكثرهم أمناً واستقراراً، تعيش عيشة رغدٍ وتحيا حياة عزٍ وسؤددٍ، تقود ولا تُقاد، وتأمر ولا تُؤمر وتنهي ولا تنهى، تحب الخير للناس كلهم وتهديه إليهم بجد ونشاط،

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢. (٢) سورة النساء: ١. (٣) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

ولـو اقتضى ذلك منهـا أن تقدم أمـوالها وأولادهـا ودماءهـا لإيصال الخيـر إلى الناس كافة، لأنها بذلك تـرضي ربها الـذي لا هدف لهـا في هذه الحيـاة غير رضاه.

وإن أي أمة من الأمم، في أي بقعة من الأرض، وفي أي زمن من الأزمان رفضت هذا الدين وابتعـدت عن هديـه وحاربتـه، وحاربت الـدعاة إليـه متبعة هواها عاصية ربها هاجرة كتابه خارجة على سنن هدي رسوله ﷺ - إن أي أمة تفعل ذلك لجديرة بأن تكون أكثر الأمم شقاءً وخوفاً واضطراباً في كـل شئـون حياتها، حتى لو بدت في ظاهر أمرها غنيـة بالأمـوال، كثيرة بـالرجـال، قويـة بـالصناعـات والمرافق والـرجال، فـإن السعادة لا تحصـل بمنصب ولا مـال، والأمن لا يحصل بسلاح ولا رجال، والطمأنينة لا تحصل بأي سبيل من السبل المادية المبنية على غير الإيمان وطاعة الله ورسوله ﷺ.

وقد دلّ على ذلك - أي سعادة المهتدين بهدي الله، وشقاوة المبتعدين عن منهج الله - الكتاب والسنّة والواقع الذي سجله التاريخ في كل الأحقاب.

قـال تعالى عن نبيـه نوح عليـه السلام: ﴿**فقلت استغفـروا ربكم إنه كـان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾[1].

فقد رتب سبحانه وتعالى على استغفارهم ربهم الذي أمـرهم به إمـداد الله لهم بـالأموال والبنين وجعـل الجنات والأنهـار، وهذا من الجـزاء العاجـل في الدنيا، وإن لـم يكن الجزاء كله، ويشبه ذلك قوله تعالى: ﴿**ألاّ تعبـدوا إلاّ الله إنني لكم منـه نذيـر وبشير وأن استغفـروا ربكم ثم توبـوا إليه يمتعكم متـاعاً حسنـاً إلى أجل مسمّى ويؤت كـل ذي فضل فضله**...﴾[2] آيـات نوح كـانت في قوم أول رسول بعثه الله إلى الأرض، وآيات هود كانت في قوم آخر رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وكلها دالة على أن المتـاع الحسن والرزق الـرغيد يكونان لمن اتبع نهج الله واستجاب لهداه، وقد يمتع الله عدوه الكافر بالـرزق والجنات والأنهار والقوة المادية، ولكنه متاع غير هنيء، بـل مصحوب بـالقلق

---

(١) سورة نوح: ١٠ - ١٢. (٢) سورة هود: ٣.

والشقاء، ثم إن الذي يستقيم على منهج الله يتمتع برزق الله وهو يستحقه، بخلاف أعداء الله فإنه يمتّعهم به ابتلاءً لهم وزيادة في عذابهم بذلك المتاع في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون**﴾[1].

فتخصيص الله تعالى المؤمنين بأن هذه الطيبات لهم في الحياة الدنيا، مع أن غيرهم من المشركين يشتركون معهم فيها، يدل على أن المشركين ـ الذين أهمل ذكرهم ـ ليسوا أهلاً لتلك الطيبات في الحياة الدنيا، وإنما الذين هم أهلٌ لها هم المؤمنون، ولذلك روى ابن جرير، رحمه الله بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال: «ينتفعون بها في الدنيا ـ أي المؤمنون ـ ولا يتبعهم إثمها»[2]. وقال القرطبي، رحمه الله: «قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا»: يعني بحقها من توحيد الله تعالى والتصديق له، فإن الله ينعم ويرزق فإن وحده المنعم عليه وصدقه فقد قام بحق النعمة، وإن كفر فقد أمكن الشيطان من نفسه، وفي صحيح الحديث: «لا أحد أصبر على أذى من الله يعافيهم ويرزقهم يدعون له الصاحبة والولد»[3].

ونقل أبو حيان عن التبريزي قوله: «معنى الآية أنها للمؤمنين خالصة في الآخرة لا يشركهم الكفار فيها، هذا وإن كان مفهومه الشركة بين الذين آمنوا والذين أشركوا، وهو كذلك، لأن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البرّ والفاجر إلاّ أنه أضاف إلى المؤمنين ولم يذكر الشركة بينهم وبين الذين أشركوا في الدنيا، تنبيها على أنه إنما خلقها للذين آمنوا بطريق الأصالة، والكفار تبع لهم في الدنيا، ولذلك خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً**﴾[4].

وممّا يدل على أن رزق الله تعالى لخلقه فتنة منه واختبارٌ لهم أيشكرونه أم يكفرونه، قوله تعالى: ﴿**واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم**﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/١٦٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٩٩).
(٤) البحر المحيط (٤/٢٩١).
(٥) سورة الأنفال: ٢٨.

ودلّت آية أخرى على أن رزق الكفار يكون حسرة عليهم، كما قال تعالى: **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾**[1].

ومن الآيات الدالة على أن الأمة المهتدية بهدي الله يكرّمها الله تعالى بالسعادة والخير والبركات في الدنيا فتحيا حياة الأمن والعيش الرغيد قول الله تعالى: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كان يكسبون﴾**[2]. وإذا رأيت أمة من أمم الأرض محادة لله ورسوله وقد أغدق الله عليها بالرزق من السماء والأرض وظهرت بقوة المسيطر المتعالي فاعلم أن ذلك ليس بركة عليها وإنما هو محنة واستدراج لتنال عقابها الأليم في نهاية المطاف، ولذلك قال تعالى حاكياً حال الأمم الكافرة قبل مجيء أمة محمد ﷺ فقال: **﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرَّعون فَلَوْلا إذا جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾**[3].

ومن أصرح الآيات وأجمعها لسعادة المهتدين بهدي الله وطيب حياتهم في الدنيا والآخرة قوله تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[4].

والحياة الطيبة ليست هي الحياة التي توافرت فيها أنواع المتع المادية من مأكل ومشرب ومركب وملبس ومنكح، وصناعة وزراعة واختراع وغيرها فقط، وإنما هي الحياة الآمنة التي تطمئن فيها القلوب ويأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ينتشر فيهم العدل ويختفي الظلم ويقود الأكفاء الصالحون البشرية فيها إلى ما يرضي الله، ومتع الحياة الدنيا المباحة جزء من الحياة الطيبة.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٦. (٢) سورة الأعراف: ٩٦. (٣) سورة الأنعام: ٤٣ - ٤٥.
(٤) سورة النحل: ٩٧.

ومن الآيات التي جمعت بين إثبات الهدى والسعادة لمن اتبع هدى الله في الدنيا والآخرة، وإثبات الشقاء والضلال لمن ابتعد عن هديه قول الله تعالى: **﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾**[1].

تأمل كيف نفى الله الضلال والشقاء عمن اتبع هداه، وأثبت المعيشة النكدة الضيقة والضلال المبين الذي عبّر عنه بالعمى لمن أعرض عن ذلك الهدى وهو ذكر الله. ثم أكّد تعالى شقاء من لم يهتد بهدي الله في الدنيا بالحياة الضنك وفي الآخرة بالعذاب الأليم فقال تعالى: **﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾**[2]. تنبيهاً على استمرار هذه السنة الربانية، وهي شقاء من ابتعد عن طاعة الله وضلاله، وسعادة من اتبع منهجه واهتداؤه.

وأما السنة فقد دلّت على أن ألوان الشقاء تنزل بالأمة عندما تبتعد عن منهج الله وتجهله، شقاء انتهاك الأعراض وشقاء ارتكاب ما يفسد العقول، وإذا فسدت العقول وانتهكت الأعراض وفشا الجهل فأي حياة تلك التي يحيا بها الناس عندئذٍ؟ إنها حياة الضنك والضيق كما عبّر عنها القرآن الكريم تسفك فيها الدماء والأرواح وتغتصب كل الحقوق، وفي ذلك خراب العمران.

روى أنس، رضي الله عنه، قال: لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»[3].

وفي حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «يتقارب الزمان وينقص

---

(١) سورة طه: ١٢٣ - ١٢٦.

(٢) سورة طه: ١٢٧، وراجع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لشيخنا العلامة: محمد الأمين الشنقيطي (٣/٩).

(٣) البخاري (١/٢٨).

العمل ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج» قالوا: يارسول الله أيُّمَ هو؟ قال: «القتل القتل»[1].

وفي حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قالَ النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل»[1].

أي إن آخر الزمان يخالف أوله، بمعنى أن العصور الأولى كانت عصو نور وهدى انتشر فيها العلم والعمل الصالح وأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، لأنهم كانوا ملتزمين بهدي الله، يتعلمون الكتاب والسنة ويطبقون ما جاء فيهما اعتقاداً وقولاً وعملاً، ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على تلك القرون بحسب سبقها الزمني، لسبقها العملي كما في حديث عمران بن خصين، رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعدُ قرنين أو ثلاثة، قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن»[2].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته. . .»[3].

وسبب هذا التفضيل تلك التزكية التي زكى بها رسول الله ﷺ أصحابه بالوحي الذي كان ينزل عليه علماً وعملاً وكذا تزكية أصحابه بعده للتابعين ثم تزكية التابعين لاتباعهم كما قال تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[5].

---

(١) البخاري (٨/٨٩).
(٢) البخاري (٣/١٥١)، (٤/١٨٩).
(٣) المرجع نفسه (٧/٢٢٤).
(٤) سورة البقرة: ١٥١.
(٥) سورة الجمعة: ٢.

أما الواقع التاريخي فإن الذي يتتبعه يجده شاهد صدق على أن الأمة المهتدية بهدي الله هي التي تحوز قصب السبق في العزة والتمكين والسعادة والأمن والاطمئنان في هذه الحياة، وإن الأمة المبتعدة عن الله وعن اتباع منهجه تمنى بحياة الذلّ والشقاء والاضطراب والخوف والقلق مهما أوتيت من المتع المادية ومهما شيدت من القصور ومدت من الجسور وشقت من الطرقات، وبنت من الاهرامات تجد فيها السادة المتجبرين والعبيد الأذلاء المستضعفين والظلمة الباطشين والمظلومين المحرومين. وتجد فيها الفواحش المنتشرة والجهل والتقاتل والتناحر لا ينصر القوي فيهم الضعيف ولا يجد الخائف من يؤمنه، وهذا ما يشاهد في هذا القرن المسمّى بالقرن العشرين الذي بنيت فيه ناطحات السحاب وعبدت فيه الطرق البرية، حتى أصبح الساكن في أقصى المعمورة في الشرق يمكنه السفر بسيارته إلى أقصاها في الغرب، وصنعت فيه الطائرات التي تقطع في ساعات المسافة بين أقصى الشرق والغرب وامتلأت البحار والمحيطات بالسفن الضخمة المدنية والعسكرية وكذلك الغواصات، وأصبحت كواكب السماء كأنها محطات للمسافرين من الأرض إليها وبخاصة القمر الذي أصبح شبيهاً بمتنزه تابع للأرض.

وهكذا ما من شيء في هذا الكون إلّا كان هدفاً لتفكير المفكرين وبحث الباحثين ليكتشفوا فوائده ويغوصوا في أعماق أسراره، ويخضعوه للاستفادة منه مدنياً أو عسكرياً، ولكن الحياة مع ذلك كله هي حياة شقاء وبلاء وضنك، تنتشر فيها الفوضى ويعمّ الخوف فلا تجد شعباً ولا دولة كبرت أم صغرت آمنة من أخرى تعدّ لها العدة وتتربص بها الدوائر، ولا تجد دولة أو شعباً خالياً من الظلم والاعتداء والإجرام، بل إنك لتجد الجرائم في تصاعد مستمر، يدل على ذلك ارتفاع نسبة المجرمين في المحاكم والسجون والمعتقلات ـ عدا من لم تضبطه أجهزة الأمن وهم لا يحصون ـ لا بل إنك لتجد الصالح المصلح الأمين العالم المحب لأمته الخيّر الساعي إلى ما فيه سعادتها، هو المجرم المكبل بالقيود المودع في المعتقلات، المصلت على رقبته سيف الموت من قبل من أوتي القوة من المتكبرين الطغاة الذين هم أولى بأن يوصفوا بأنهم مجرمون وأحق بالمعتقلات والسجون والنفي والقتل.

كما تجد من يموتون جوعاً في أكثر المعمورة وبجانبهم من يموتون من الشبع والتخمة، وتجد العرايا مما يستر عوراتهم وبجانبهم من تملأ ملابسهم الخزائن، وتجد من لا مأوى له يقيه من الحر والبرد والمطر وبجانبهم من يبني المتنزهات المؤقتة بأجود أنواع الأثاث الفارغة من السكان وتجد من يدّعي مناصرة حقوق الإنسان والديموقراطية وهو يفتك بالإنسان قتلاً وتشريداً، ويربي الكلاب والقرود ويقدم لها كل ما تشتهيه من مأكول ومشروب وملبوس ومسكن ورخاء، ويكبت أي صوت يرتفع مطالباً بالعدل والمساواة إذا كان ضد مصلحة مدّعي حقوق الإنسان والديموقراطية.

إن هذا العصر الذي فيه هذه الكوارث وغيرها لَمِن أعظم شواهد الحق على أن الأمة التي تبتعد عن هدى الله خليقة بالشقاء والخوف والقلق وكل أنواع الخسارة والدمار، مهما أوتيت من المتاع المادي الزائل، وان التربية الإسلامية بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ هي التي تنقذ البشرية من ويلاتها ومحنها وخوفها وتبدل ذلك كله بالحياة الطيبة الآمنة المستقرة.

ومما يدل على ذلك أن حياة الشعوب الإسلامية التي حافظت على القليل من أتباع نهج الله هي أسعد الشعوب بحياة الاستقرار والأمن والعكس بالعكس.

إن التربية الإسلامية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والعمل بهما تسعد الفرد والأسرة والمجتمع معاً بدون طغيان أحدها على الآخر، كل يأخذ حقه ويؤدي واجبه، بلا صراع ولا تطاحن بل برضا واطمئنان، فلا يفرض أمن الفرد بقوة السلطة فحسب ولا أمن المجتمع كذلك، لأن الفرد يؤمن بالواجبات التي يجب أن يؤديها لأسرته ومجتمعه، والمجتمع يؤمن بحقوق الفرد عليه، وكلهم مؤمنون بوجوب التعاون على البر والتقوى فلا طغيان لأحد على الآخر، وإذا أراد أحد الاعتداء على الآخر وجد الرادع له من الأحكام الشرعية التي كلّف الله المجتمع تنفيذها.

لذلك كله دفعني التأمل في أحوال الناس عامة وأحوال المسلمين خاصة أن أجمع في هذا الكتاب جملة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال علماء الإسلام ما عسى أن يقنع المسلمين أولاً، وغيرهم ممن ينشدون

الأمن. ثانياً، بضرورة السعي الجاد لتطبيق التربية الإسلامية لينبني عليها أثرها، وهو أمن الفرد والأسرة والمجتمع، وأنه بدون ذلك فلا أمن ولا حياة طيبة سعيدة وسميته: «أثر التربية الاسلامية في أمن المجتمع الاسلامي».

وقد جعلته تمهيداً وثلاثة أبواب وخاتمة، وفي كل باب فصول ومباحث ومطالب، وقد يشتمل بعض المطالب على فروع، أكتفي هنا بذكر الأبواب والخاتمة، أما الفصول ومباحثها ومطالبها فسيأتي تفصيلها في أثناء الكتاب وفي الفهرس إن شاء الله:

الباب الأول: في تربية الفرد المسلم
الباب الثاني: في تربية الأسرة المسلمة.
الباب الثالث: في تربية المجتمع المسلم.
الخاتمة: وتشتمل على الثمرات المترتبة على التربية الاسلامية.

التمهيد: وفيه بيان معنى الأمن، وأقسامه، وأصول الحياة الطيبة التي لا أمن للبشرية بفقدها ولا يتحقق وجودها إلّا إذا وجدت التربية الاسلامية للفرد والأسرة والمجتمع.

في هذا التمهيد ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الأمن.
المطلب الثاني: أقسام الأمن.
المطلب الثالث: أصول الحياة الطيبة.

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : معنى الأمن

المطلب الثاني : أقسام الأمن

المطلب الثالث : أصول الحياة الطيبة

المطلب الأول:
معنى الأمن

أصل الأمن طمأنينة النفس وعدم الخوف، يقال: أمن، كسلم وزنا ومعنى، وأمن البلد اطمأن به أهله[1] والمراد بالأمن هنا اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على أن يحيوا حياة طيبة في الدنيا لا يخافون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم وعقولهم ونسلهم من أن يعتدى عليها أو على ما يصونها ويكملها أحد بدون حق، وفي ذلك اطمئنانهم بالسعي في كل ما يرضي الله سبحانه حتى يتم لهم الأمن في الآخرة بنيل رضا الله وثوابه والنجاة من عقابه.

هذا هو الأمن المطلوب إجمالاً: الأمن على الحياة الطيبة في الدنيا، والأمن على الحصول على رضا الله والنجاة من غضبه يوم القيامة.

المطلب الثاني:
أقسام الأمن

يتضح ممّا تقدم أن الأمن ينقسم قسمين:

القسم الأول: الأمن في الدنيا، وهو الاطمئنان على ضرورات الحياة وما يكملها، بحيث لا يعتدي أحد على تلك الضرورات والمكملات، فإذا همَّ أحد بالاعتداء على شيء منها وجد ما يزجره من الزواجر التي وضعها الخالق سبحانه من العقاب الأخروي، أو العقاب الشرعي العاجل.

وهذا القسم من الأمن حرص عليه جميع الأحياء، لأنه محسوس، عاجل، والنفس مولعة بحب العاجل، فلا يقدم أحد على ما يكون سبباً في فقد أمنه ـ في الغالب ـ إلّا لأحد أمرين:

---

(١) راجع مادة أمن «في كتب اللغة، كاللسان والقاموس وكذا المفردات، والمصباح المنير.

الأمر الأول: عدم علمه بأن ما يقدم عليه قد يكون سبباً في فقد أمنه، كمن يقدم على الاعتداء على قتل نفسٍ محرمة، فيزهقها ـ خفية في ظنه ـ ثم يكشف أمره فينال جزاءه، وهو القصاص.

الأمر الثاني: أن يترجّح عنده الإقدام على ما يكون سبباً في فقد أمنه على عدم الإقدام؛ كمن اعتدى على دينه أو عرضه أو ماله، فدافع عن ذلك حتى قتل سواء كان قتله في الميدان مع المعتدي، أم تحت تجبّر طاغية استغل قوته، لأنه يرى أن محافظته على شرفه وعزته خير من محافظته على حياة لا يتوافر له فيها الأمن الحق والحياة الحرة الطيبة.

والأمن الدنيوي الذي يمنّ الله به على الأمم لا يدوم مع الكفران بل يبدلها الله به الخوف والجوع وسوء الحياة، كما قال تعالى: ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾[1].

ومن الأمم التي امتنّ الله عليها بالأمن ثم بدلها به خوفاً لكفرانها مشركو قريش الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾[2].

وعندما أصروا على الكفر ومحاربة الله ورسوله ﷺ أبدلهم الله بأمنهم خوفاً، وبغناهم فقراً، وبشبعهم جوعاً. وسلط عليهم رسوله ﷺ والمؤمنين فأذلوهم في بدر وغيرها وفتح الله على المؤمنين مكة فدخلوها آمنين وانتصروا على عدوهم الذين أيقنوا ألّا أمن ولا طمأنينة إلّا بهدي الله فاستجابوا له فعاد الأمن والعزة اليهم وأصبحوا سادة الدنيا بذلك.

القسم الثاني: الأمن الأخروي، وهذا هو الأمن الحق الذي إذا وفق الله له أمة من الأمم فهيّأ لها أسبابه وحجب عنها موانعه فسعت لتحقيقه تحقق لها معه أمن الدنيا، وأهم أسبابه الالتزام بمنهج الله وعبادته وحده لا شريك له وعدم طاعة غيره في معصيته، كما قال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**

---

(١) سورة النحل: ١١٢. (٢) سورة قريش: ٣، ٤.

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1].

فالأمة التي تؤمن بالله وتعمل صالحاً فتعبد الله ولا تشرك به شيئاً هي الأمة الجديرة بالاستخلاف والتمكين والأمن في الأرض، كما هي جديرة كذلك بالأمن التام يوم يخاف الناس: يقوم القيامة يوم الفزع الأكبر، وهذا كما سبق هو الأمن الحق، كما قال تعالى: ﴿**إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير**﴾[2]. فالنجاة من النار يوم القيامة هي الأمن الحق. والذي ينجو من النار يكمل أمنه بدخول الجنة ونعيمها وغرفاتها كما قال تعالى: ﴿**إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون**﴾[4].

هذا هو الأمن التام الذي لا يتحقق إلّا بالخوف التام: الخوف من الله وحده والتوكل عليه وعدم الخوف ممن سواه، وهو الذي جادل به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام قومه عندما خوفوه بآلهتهم، كما قال تعالى: ﴿**وحاجّه قومه قال: أتحاجُّوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلّا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً، فأي الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[5].

وبهذا يعلم أن الأمة التي تحوز الأمن التام في الدنيا والآخرة هي أمة التوحيد والطاعة لله ولرسوله ﷺ، وأن السعي للحصول على الأمن في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً بغير ذلك ضرب من اللعب واللهو. ﴿**فأي الفريقين**

---

(١) سورة النور: ٥٥. (٢) سورة فصلت: ٤٠. (٣) سورة الحجر: ٤٥، ٤٦
(٤) سورة سبأ: ٣٧. (٥) سورة الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢.

أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾.

ومن أجل هذا الأمن أنزل الله كتبه وبعث رسله وخلق خلقه وأعد جنته وناره: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[1]، **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾**[2].

ومع ذلك فإن أغلب الأمم التي تدعي أنها تنشد الأمن والرخاء والاستقرار لا تسلك سبيل هذا القسم بل إنها لتضع السدود أمام سالكيه وتحاربهم وتصدّ من أراد أن يستجيب لهم يدل على ذلك قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، وتاريخ الدعاة إلى الله مع الأجيال المتلاحقة اقرأ قصة نوح مع قومه، وقصة إبراهيم مع قومه، وقصة هود مع قومه وقصة صالح مع قومه، وقصة شعيب مع قومه، وقصة لوط مع قومه، وقصة موسى مع قومه، وقصة عيسى مع قومه، وقصة محمد ﷺ وعلى إخوانه من الأنبياء أجمعين، مع قومه، وتأمل تاريخ الأمم إلى يومنا هذا لترى أن أغلب تلك الأمم تسعى جاهدة لتعاطي كل سبيل يوصلها إلى خوفها وهلاكها ودمارها وتسد كل باب يوصلها إلى أمنها واطمئنانها واستقرارها، على الرغم من دعوى السعي الجاد إلى الأمن والاستقرار، ثم تتبع ما ذكر الله في كتابه من أن أكثر الناس ضالون مضلون فاسقون كافرون غير مؤمنين، كما قال تعالى: **﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وإن تطع أكثر مَنْ في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾**[4]. وقال تعالى: **﴿إنّه الحقّ من ربك لكنّ أكثر الناس لا يؤمنون﴾**[5] وقال تعالى: **﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً﴾**[6]، وقال تعالى: **﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾**[7].

---

(١) سورة الذاريات: ١٥٦ (٢) سورة النحل: ٣٦. (٣) سورة البقرة: ٢٤٣.
(٤) سورة الأنعام: ١١٦. (٥) سورة هود: ١٧. (٦) سورة الفرقان: ٥٠.
(٧) سورة يس: ٦، ٧.